المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني

ملخص

أردت من خلال هذه المقالة أن أعالج معتقدات مجتمع مدينة الجزائر في الأولياء. حيث عرفت الجزائر ظاهرة الأولياء و الأضرحة خاصة في العهد العثماني و هذا بسبب انتشار أفكار خاطئة حول قدراتهم الخيالية في معالجة العديد من المشاكل سواء كانت عضوية أو اجتماعية أو نفسية، فقد تحولت هذه الأضرحة مزارا لطلب الشفاء من الحمى و الجنون و كذا طلب المساعدة في الزواج و غيرها. وقد وردت في عقود المحاكم الشرعية – حيث العقلانية القانونية- العديد من الإشارات التي تبين نظرة الناس في المدينة إلى الأولياء لذا كانت هذه العقود المصدر الأول لهذه المقالة إضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى.

ياسين بودريعة

جامعة البويرة
الجزائر

عرف العالم الإسلامي ظاهرة الأضرحة والأولياء منذ العهود الأولى للإسلام وقد زاد انتشارها في العهد العثماني حيث كانت الجزائر من بين المناطق التي انتشرت فيها هذه الظاهرة حتى أن العديد من مدنها أصبحت معروفة باسم أشهر وليها مثل مدينة سيدي الهواري بالنسبة لمدينة وهران وسيدي بومدين الخاص بمدينة تلمسان وغيرهما. أما مدينة الجزائر فقد عرفت باسم سيدي عبد الرحمن نسبة إلى أشهر أوليائها عبد الرحمن الثعالبي. وقد انتشرت بين أهالي المدينة خرافات وأساطير غريبة حول قدرة هؤلاء الأولياء في العديد من الأمور منها حماية المدينة والقدرة على شفاء المرضي وحل بعض المشاكل الاجتماعية كالزواج مما أضفى عليهم هالة كبيرة جعلت منهم أشخاصا فوق العادة بما أنهم أناس صالحون ومباركون في نظر المجتمع، وبعد وفاتهم ومن شدة تعلق الناس بهم يبنون عليهم

Résumé

Cet article traite des croyances de la société algéroise dans les capacités thaumaturges des saints de la ville, surtout à l'époque ottomane, et ce, en se basant sur des documents d'archives.

Ce qui retient l'attention est que ces croyances se retrouvent dans les transactions consignées dans les actes notariés des *mahakim*, hauts lieux de la rationalité juridique.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

قبورا غير عادية أصبحت بمثابة مؤسسات لها مسميات عديدة كالأضرحة أو الزوايا أو المزارات و غيرها.

وقد خصصوا لها أوقافا[1] حتى تستطيع القيام بنشاطاتها الاجتماعية و الدينية كالصدقات على الفقراء والتعليم والإيواء والاحتفال ببعض المواسم مثل مناسبة المولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والأضحى وغيرها. كما ساهمت هذه الأوقاف في دفع أجور العمال الذين يعملون بهاته الأضرحة و كذا ترميمها مما ساهم في استمرارها ولولا دخول الجيش الفرنسي إلى المدينة و الذي قام بتدمير العديد منها نتيجة توسعة المدينة لبقيت ربما إلى غاية اليوم نظرا لتعلق الناس بها.

أردت في هذه المقالة أن أجمع قدر الإمكان أهم المعتقدات الموجودة بين أفراد مجتمع مدينة الجزائر انطلاقا من الأرشيف، حيث أصبح الأرشيف يوفر لنا معطيات مهمة حول مختلف المواضيع التاريخية وفيما يخص موضوعنا فالقراءة المتأنية بين ثنايا العقود يوضح لنا بعض الجوانب المتعلقة بهذه المعتقدات ففي عقود الوقف نجد أن من بين الأسباب الرئيسية للأوقاف على الأضرحة هو نيل بركة أصحاب هذه القبور مثل عبارة"نفعنا الله به" أو "المستغاث به"، بالإضافة إلى الأرشيف تم الاعتماد على بعض المصادر والمراجع سواء المحلية منها أو الأجنبية.

1- اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين

1-1 اعتقادات أهل مدينة الجزائر في الأولياء الصالحين

رافق انتصار الجزائريين على العديد من الحملات الأروبية بعض العوامل الطبيعية التي ساهمت في ألحاق خسائر فادحة في صفوف المهاجمين. نذكر في هذا الشأن حملة شارلكان على مدينة الجزائر عام 1541 التي شهدت عاصفة كبيرة أثناء المعركة أدت إلى تعطيل حركة جيش الإسبان و كذا تحطيم عدد كبير من السفن مما جعل الإسبان ينهزمون أشر هزيمة[2]. كل هذا ساهم في تعزيز اعتقاد الجزائريين بوجود حماية إلهية لمدينتهم حتى أصبحوا يطلقون عليها الجزائر المحمية بالله تعالى أو الجزائر المحروسة و في نظر مجتمع مدينة الجزائر فإن هذه الحماية الإلهية إنما جاءت بفضل الأولياء المدفونين بها كعبد الرحمن الثعالبي و عمار التنسي و سيدي منصور وغيرهم و في هذا الشأن كتب أحد الشعراء قصيدة مطولة يمدح فيها انتصار الجزائريين على حملة الدانمارك في سنة 1184هـ/1771م حيث كانت عدة أبيات منها مخصصة لمدح الأولياء ومما جاء فيها:

جات بنين الروم قبلهـــا جا للبحر وقال له اطمـــا
هاج البحر كسر سفونهم وابقأت غير الواح عايمه
عبد القادر حـرمها الكفـا هو الّى يرعـاهـــا[3]

إنّ هذا الاعتقاد بقدرة الأولياء جعلهم ينسجون حولهم خرافات وأساطير فكلما انتصر الجزائريون في معركة من المعارك ضد الهجمات الأوروبية إلاّ وظهرت

أسطورة تمجد إحدى الشخصيات ومن الأمثلة أسطورة "بوڤدور"[4] الذي عاصر حملة شارلكان عام 1541م و مفادها: أنّه أثناء المعركة ذهب هذا الولي إلى الميناء وحمل معه مجموعة من الأواني الخزفية وبدأ بتكسيرها الواحدة تلو الأخرى وكلما كسّر آنية تحطمت سفينة من سفن العدو ومن ثم أصبح يسمى "بوڤدور" أو "بوالقدور" ولما توفي أضحى قبره الذي يقع قرب زاوية محمد الشريف الزهّار مزارا، كما أنه من بين الخرافات التي تناقلها الناس خلال هذه الحملة أن ضريح أبي التقي كان مضيئا أثناء ليلة المعركة[5]، وقد بلغ الجهل بالناس أنهم كانوا حينما يرون العدو ينبشون قبور الأولياء ويأخذون عظامهم ويقصدون البحر لكي يضربونه فيهيج البحر ويحطم سفن العدو.

2-1 الاعتقاد ببركة الأولياء

لقد صاحب الأولياء سكان مدينة الجزائر في حياتهم اليومية فقد كان تأثيرهم كبيرا عليهم في مختلف النواحي الاجتماعية ولم يقتصر التأثير على فئة معينة بل كان على كل الفئات فقيرة أو غنية جاهلة أو متعلمة و نرى أن حمدان بن عثمان خوجة وهو أحد سكان المدينة المثقفين و الميسورين يعتقد ببركتهم وحرمة قبورهم ، حيث يقول: "...أنّ المرابطين يعلمون الناس الأخلاق و يفسرونها بقدر المستطاع كما يعلمونهم الصلاة ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق، ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة، ويعتقد السكان أنّ كل دعائهم مقبول عند الله الذي يؤمنون بقداسته وجلاله.."[6]، وفي موضع آخر وفي مذكرته إلى وزير الحربية الفرنسي سنة 1833، يحلل حمدان خوجة مكانة الأولياء فيقول: "....مقتضى ديننا وسياستنا احترام الأولياء واحترام تربتهم، ولو كان عليه قصاص شرعي، لا نخرجه من التربة بل نترصد خروجه بنفسه احتراما لذلك الولي، وتعظيما لمن أطاع الله فهي بمنزلة الجوامع في الاحترام واشتراك الناس في زيارتها والاحتماء بها..."[7] ويعبر مورقان Morgan عن هذه العلاقة بين الأفراد والمرابط "الولي"، من خلال بعض السلوكيات التي يقوم بها الناس اتجاه الأولياء مثل تقبيل أيديهم عند التسليم عليهم[8].

إنّ هذا التأثير من طرف الأولياء ساهمت فيه الأساطير المنسوبة إليهم كما قلنا سابقا حيث زادت في شعبيتهم والاعتقاد الخرافي بقدسيتهم، ومن بين هؤلاء، الأولياء والي داده، سيدي منصور، امحمد بوقبرين و سيدي بوڤدور وغيرهم، حيث أصبحت أضرحتهم مزارات لنيل البركة، كما كان الفقراء في مدينة الجزائر عندما يطلبون الصدقة يستغيثون بأحد الأولياء من أمثال عبد القادر الجيلاني دفين بغداد كأن يقول "صدقة بجاه سيدي عبد القادر"[9]، وقد سببت هذه الكلمة الكثير من المشاكل للشحاذين الذين كانوا كثيرا ما يتلقون صفعات لأن الفرنسيين كانوا يظنون أنهم يستغيثون بعدوهم الأمير عبد القادر[10].استنادا إلى رواية دوفولكس Devoulx، كانت النساء الفقيرات تحلفن بسيدي هلال لاعتقادهن بأنه الوحيد الذي يزيد من قوتهن[11].

امتد هذا التأثير إلى مؤسسة الوقف فقد قام السكان بتأسيس أوقاف على أضرحة هؤلاء الأولياء طلبا للأجر والبركة، حيث رافقت عقود الحبس بعض الأدعية مثل"نفعنا

الله ببركاته أمين" أو " نفعنا الله ببركاته و بركة أمثاله"، كما أنّ هذه الأدعية عادة ما تذكر شخصية الولي وتعرف به بذكر مهنته أو وظيفته و مثال ذلك: "... فيرجع الحبس المذكور على الولي الصالح الإمام العالم ...سيدي فلان نفعنا به أمين ". هذا و الملفت للانتباه أنّ عبد الرحمن الثعالبي كان هو الأكثر طلبا للبركة و تنوعا في الدعاء في التحبيس وهذا لكثرة من حبس عليه وتنوع فئاتهم الاجتماعية ، وقد رأينا من المفيد نقل بعض هذه الأدعية المرفقة في وثائق التحبيس الخاصة بالأضرحة، فمنها وقفية الحاج علي[كذا] بن ناصح والمؤرخة في سنة 1224هـ/1809م و مما جاء فيها ما يلي: "...فإن انقرض الجميع يرجع ذلك وقفا على ضريح الولي الصالح القطب الرّباني سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به أمين... "[12]، و في وقفية دومة بنت أحمد المؤرخة في سنة 1825م فقد أرفقت في وقفيتها الدعاء لها و لجميع المسلمين وقد جاء على هذا النحو: "... ووقفت جميع قزانها من النحاس على ضريح الولي الصالح الغوث الناصح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته و بركة أمثاله أمين..."[13]، ومن الوثائق التي وصفت عبد الرحمن الثعالبي العلامة والمفسر وغيرها ما جاء في وقفية الحاج مصطفى بن الحاج محمد وهي مؤرخة سنة 1191هـ/1777م "... والنصف الآخر على ضريح العالم العلاّمة المفسر المحدث المؤلف الشيخ الربّاني الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي"[14] وهناك نوع من الأدعية التي تستغيث بالولي منها ما جاء في وقفية الحاج أحمد و المؤرخة سنة 1175هـ/1761م: "...على ضريح الولي القطب الربّاني الناصح ، الشيخ البركة المستغاث به في حالتي السكون والحركة سيدي عبد الرحمن الثعالبي.. "[15] و في الأخير نذكر ما جاء في إحدى الوثائق وهي عبارة عن مجلس علمي عقد في ضريح عبد الرحمن الثعالبي ومؤرخة في سنة 1108هـ/1696م ومما جاء فيها: "...و عقد لهما بسبب ذلك مجلس علمي بجامع الشيخ البركة المتبرك به و بضريحه ذي العناية و الجاه القطب الربّاني العارف بالله أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به و ببركاته و أفاض علينا من أنواره بجاه سيدنا محمد وآله و صحبه... "[16]. وفي الأخير نورد بعض ما جاء في وقفية السيد محمد أبي العباس البكوش، على ضريح عمر التنسي سنة 1031هـ/1621م: ".....فإن انقرض جميعهم و لحق بالله وضيعهم و رفيعهم رجعت الأزواج الترابية[17]المذكورة حبسا على زاوية الشيخ الرباني العارف بالله تعالى المتبرك به السيد عمر التنسي قدس الله سره و نفعنا الله به و بأمثاله.... "[18]

إن الإعتقاد ببركة أولياء مدينة الجزائر لم يقتصر على أهلها بل امتد إلى زوارها حيث كان العديد من زوارؤ المدينة يزورون أحد هذه الأضرحة من أجل نيل بركتها ففي هذا الشأن ذهب التمغروطي ضريح عبد الرحمن الثعالبي عند زيارته لمدينة الجزائر و قد ذكر ذلك في كتابه حيث جاء كلامه على هذا النحو""... وكل هؤلاء خارج باب الوادي زرناهم و تبركنا بهم رحمهم الله ..."[19] و ورد في إحدى قصائد الشاعر التلمساني ابن المسايب أحد شعراء القرن 18، ما يحث على زيارة ضريح عبد الرحمن الثعالبي حتى ينال زائره البركة:

قم يتنحل[20] اللبيبان[21] للجزائر أدخل فرحان
شوف سيدي عبد الرحمن بركته ينفعنا بها[22]

ونشير إلى أنّ غالبية أضرحة مدينة الجزائر كانت عبارة عن زاويا للعلم وملاجئ للغرباء لذا كان أكثر نزلاء هذه المنشآت من أهل العلم و رجال التدريس و في هذا الشأن ورد تحت قلم المؤرخ مولاي بالحميسي: "... كان رجال التدريس في مختلف الفنون هم الأكثر من بين النزلاء لما كان لمدينة الجزائر من إشعاع ثقافي تركه الولي الصالح تدعمه هياكل الاستقبال للغرباء و الطلبة..."[23] .

3-1 الاعتقاد بقدرتهم على شفاء المرضى

امتد تأثير أضرحة هؤلاء الأولياء إلى مجال الصحة حيث أصبحت أضرحة الأولياء في اعتقاد الناس مصدرا للشفاء يقصدونها طلبا للشفاء من مختلف الأمراض سواء كانت عضوية كمرض الحمى و التهاب العين والعقم، أو عقلية كالجنون والعين و الحسد[24] و كذلك المشاكل الاجتماعية كالزواج وحفظ العلاقة الزوجية و غيرها . على هذا الأساس نجد في نظر الكثير من فئات المجتمع أن كل ضريح يختص في علاج مرض معين أو حل إشكال اجتماعي ما ومن الأمثلة على ذلك نجد أن ضريح علي الزواوي يشفي الحمى و العقم كما يقوم بحل مشاكل اجتماعية خاصة منها حفظ العلاقة الزوجية[25]. أما ضريح يحي الطيار فكان ينتظر منه الشفاء من الحمى و"المس" إذ يكفي للمريض أن يستحم بالماء الموجود في منبع ماء هناك ، ثم يبيت في الضريح، حيث يتم استنطاق الجن وإجباره على الخروج من جسم المريض، ولا يكتمل العلاج إلا بزيارة ضريح سيدي الأكحل الموجود بالقرب من ضريح يحي الطيار[26]. أما ضريح سيدي فليح الموجود في مقبرة عبد الرحمن الثعالبي فقد كانت البنات تزرنه لطلب الزواج حيث يطفن به ويرددن: " سيدي فليح! سيدي فليح! أعطيني زوج وأعطيك عشرة سوردي"[27] أمّا ضريح سيدي يعقوب فقد كان مزارا للمسلمين واليهود على السواء حيث كان يعتقد أنه يشفي كل الأمراض و منها طرد الجن[28]، أما ضريح عبد الرحمن الثعالبي فقد كان في مقبرته شجرة خروب كبيرة يعتقد أنّ أوراقها تشفي الحمى[29] وأنّ الأمراض العضوية تشفى بمجرد الزيارةو في ما يخص الأمراض المعقدة والتي تأتي من العين أو الجن فتتطلب وجود ما يعرفون "بالطالب" أو المرابط فهو حسب هايدو نوع من المرابطين الذين تعلموا حرفة السحر والشعوذة[30] فهو الذي يقوم بتحضير العلاج المناسب[31] وفي هذا الشأن يرشد المريض إلى الضريح المناسب لمرضه حيث ينصحه بأخذ بعض اللوازم معه منها النقود وتعيين لون و نوع الذبيحة التي يجب التضحية بها وعادة ما تكون هذه الذبائح من الدجاج أو الأبقار أو الكباش أو المعز. فالدم فيشربه الجن وأما اللحم فيطبخ ويوزع على الزائرين للضريح[32]. كما يقوم المرابط بعلاج الأمراض بكتابة تعزيمة وهي عبارة عن كتابة كلام مبهم يخطونة في قماش ويضعونها على رقاب الأطفال وحديثي الولادة وكذا على رقاب النساء اللواتي يعانين الاضطهاد من طرف أزواجهن. أما كيفية تحضير "الأدوية" فتتم حسب

هايدو بمخدرات مخلوطة بالضفادع وأظفار الذئاب وبراز القردة وأنياب الخنازير وغيرها[33]، وقد جاء في وثيقة عهد الأمان عام 1162هـ/1748م أنّ هؤلاء المرابطين أولياء صالحين و هم موجودون في كل العالم حيث يجب إتباع نصائحهم وتعزيمتهم لأنها مصدر النجاح[34].

إن هذه الممارسات التي جعلت مجتمع مدينة الجزائر يطلب الشفاء من الأولياء هي معتقدات راسخة إلى غاية اليوم، و قد انتشرت هذه الممارسات خاصة في العهد العثماني نتيجة قلة العناية الصحية و كذا قلة الأطباء وقتئذ حيث نجد أن الحكام لم يشجعوا تعلم مهنة الطب و المداواة بالطرق الحديثة بل تركوا المداواة بالطرق التقليدية أو الاعتماد على الشعوذة والسحر والزيارات أو الاستعانة بالتمائم التي يعدها "الطلبة"[35].

2- مواعيد زيارة الأضرحة و الطقوس المرافقة لها

لقد لعبت أضرحة الأولياء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دورا كبير ا في حياة وسلوك عدد كبير من أفراد مجتمع مدينة الجزائر، فزيادة الأضرحة والنشاطات التي كانت تقوم بها في هذا العهد ساهم في تعلق الناس بها و زيارتها في مواعيد مختلفة، سواء للدعاء أو طلبا الشفاء أو للوفاء بنذر ما. والغريب أنّ سكان مدينة الجزائر لا يكتفون بالأولياء فقط بل يبحثون عن أي مكان مقدس، قد يكون هذا المكان عينا أو شجرة، وغيرها، كما أنهم لم يكتفوا بزيارة أضرحة مدينة الجزائر بل أنهم كانوا يزورون بعض الأضرحة خارج المدينة مثل ضريح علي بن المبارك دفين مدينة القليعة و ضريح أحمد بن يوسف المليانى دفين مدينة مليانة[36]، حيث كانوا يجتمعون في ضريح عبد الرحمن الثعالبي قبل أن يشدوا الرحال إلى تلك الأضرحة[37]، كما أنهم حينما يقومون بالدعاء، يدعون و يتبركون بالأولياء الآخرين على هذا النحو: ".. ونفعنا ببركاته و بركة أمثاله أمين.. "[38]. ويعتقد المترددون على هذه الأمكنة بأن لها قدرات مختلفة، أي لكل منها شيء خاص بها وبركات باهرة تمكنها من شفاء العاقر والمريض والمجنون. و بالتالي يختلف المترددون على هذه الأمكنة باختلاف أهدافهم ومقاصدهم و تعكس هذه المعتقدات ما كان يحظى به هذا الولي في حياته، فقد كان الأولياء عموما يحظون بأكبر الاحترام حيث أنّ الناس يقومون بتقبيل أيديهم ويدعونهم للضيافة في منازلهم، كما حرصوا على أكل ما يتبقى من طعام في الصحن الذي أكل منه الولي لاعتقادهم ببركة الطعام الذي أكل منه، كما تعكس هذه المعتقدات ما نسج حول بعض الأولياء من أساطير غريبة والتي ذكرنا بعضها مثل أسطورة والي داده، و سيدي بوقدور، و سيدي بتقة،...كل هذا أدى إلى شهرة هؤلاء الأولياء، وقد كان الولي الأكثر شهرة في مدينة الجزائر هو عبد الرحمن الثعالبي، لما كان له باع في العلم،و التفسير و التصوف وما تركه من مؤلفات كثيرة بالإضافة إلى الكرامات التي كانت له مثل المرائي التي رآها في منامه، منها رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم[39]، مما جعل من الناس يبنون عليهم قبورا تختلف عن الناس العاديين حيث نجد أنّ الولي يدفن في

قبر مرتفع يوضع فوق تابوت من الخشب أو يبنى عليه شكل مستطيل مثل التابوت الخشبي ويغطى هذا التابوت بزربية، وأعلام مختلفة الألوان كل هذا يسمى الضريح، هذا الضريح تبنى عليه قبة وهي عبارة عن بناء مربع ذو سقف منتفخ ويسمى هذا البناء بالإضافة إلى القبة، المزار، أو المقام[40]...وغيرها من الأسماء.

وزيارة الأضرحة يومية وفي أي وقت، حيث يستطيع الفرد أن يتوجه للضريح إما بمفرده أو مصحوبا بأحد أفراد عائلته أو صديق، متى شاء لكن في مدينة الجزائر عرفت بعض الأضرحة أياما خاصة لزيارتها وهذا راجع للنشاطات التي تقام في الأضرحة في يوم معين دون الأيام الأخرى، مثل الصدقات الأسبوعية التي كان يقيمها ضريح عبد الرحمن الثعالبي كل ليلة جمعة بالإضافة إلى الطعام المتمثل في الكسكس باللحم[41]، كما أن عدد الأضرحة الكبير جعل من المستحيل زيارة كل الأضرحة في يوم واحد خاصة لما نعرف أن بعض الأمراض في اعتقاد الناس لا تشفى إلا بزيارة أكثر من ضريح، مثل الزيارة التي تقام حول ضريح سيدي يحي الطيار، ثم ضريح سيدي الأكحل.

وفي أثناء الزيارة كانت تقام طقوس معينة في هذه الأضرحة، تعكس هدف الزيارة، سواء لطلب الشفاء، أو لطلب حل مشكلة ما، حيث عادة ما ترافق هذه الزيارات ذبح الدواجن وتعرف "بالنشرة"[42]، أو ذبح حيوانات أخرى كالبقر، أو الكباش، أو المعز، وغيرها، حيث أنّ بعض الأضرحة كانت تستخدم شخصا لذبح مختلف الحيوانات التي يتم جلبها إلى الضريح وكانت تعطى له أجرة شهرية ومن الطقوس التي كانت تقام في الأضرحة، الطواف حول الضريح و استعمال البخور والشموع، والغسل والشرب من الماء الموجودة هناك سواء كان بئرا أو ماء عنصر، لاعتقاد الزائرين أن هذه المياه مباركة و لها قدرة خاصة في الشفاء[43].

أما الزيارات الجماعية فلا يمكن أن تتم إلا بمواعيد محددة و هذه المواعيد تسمى "الموسم" أو "الحضرة" أو "الركب"، والذي هو عبارة عن احتفال ديني يحتفل به الناس في وقت معين، ويستوجب استخدام أزياء معينة ومراسيم خاصة، وقد يحرص بعض الناس على تناول أطعمة خاصة تعبيرا عن فرحتهم[44] كما أنّ الموسم هو التقاء جماعي لأتباع الطريقة، أو الأوفياء للولي للمشاركة في الحفل أو للتعبير عن انتمائهم للجماعة، وهو نوعان:

- الموسم الريفي: وهو حفل يقام في الريف، يذهب خلاله الزوار إلى القبة بشكل جماعي، يكون هذا الحفل مرفوقا بممارسات و نشاطات طقسية كالتضحية بكبش أو ثور، و يكون الأكل جماعيا، حيث يجتمع مجموعة من الأشخاص حول الأكل، ومن أسباب تنظيم مثل هذه "الزردات " هو الدعاء عند هذه المزارات لتحسين المحاصيل الزراعية[45].

- الموسم الحضري: عادة ما يشارك فيه أتباع الطريقة أو "الإخوان" الذين يأتون في جماعات، تمارس خلاله ألعاب طقسية من طرف الإخوان، كما تحتوي على نذور دموية تكون في غالب الأحيان من الكباش أو الثيران، أو من الدجاج[46].

لكن هذه الزيارات في كثير من الأحيان تعكس النشاطات التي تقوم بها هذه المؤسسات، والتي بدورها تعكس المداخيل أو قدرتها المالية على إقامة مثل هذه النشاطات كالاحتفالات بالأعياد الدينية، منها على الخصوص الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه و سلم، هذا وقد نقل ابن عمار صورا عن ما يقع بمدينة الجزائر عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، منها نظم الشعر والقصائد وقراءتها في شكل مديح، و زيارة المساجد و الأضرحة وفيما يلي النص الكامل لما قاله ابن عمار كما ورد في مخطوط نحلة اللبيب: "..هذا وقد جرت عادة أهل بلادنا الجزاير حرسها الله من الفتن و حاكها من الدواير انه إذا دخل شهر ربيع الأول انبرى من أدبايها و شعرايها من إليه الإشارة و عليه المعول إلى نظم القصايد المديحيات و الموشحات النبويات ويلحنونها عن طريق الموسيقى بالألحان المعجبة ويقرؤونها بالأصوات المطربة ويصدعون بها في المحافل العظيمة والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرسلا و النظيمة من المساجد و المكاتب والمزارات وهم في أكمل زينة و أجمل زي..."[47]، كما كانت هناك مناسبات أخرى يحتفل بها، تتمثل في الأعياد الدينية كعيدي الفطر و الأضحى وعاشوراء وليلة الإسراء و المعراج و فيها يقوم المستخدمون في بعض الأضرحة بتحضير طعام خاص بالمناسبة، وهو عادة ما يتمثل في الكسكس باللحم ويقومون بتوزيعه على الفقراء، وهناك بعض الأضرحة الغنية مثل ضريح عبد الرحمن الثعالبي يقوم بتوزيع الطعام على الفقراء أسبوعيا كل ليلة جمعة.

3-الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالأضرحة

3-1-مكانة الأولياء لدى أهل مدينة الجزائر

إلى جانب الأوقاف و الزيارات هنالك نشاطات أخرى تعبر عن مكانة الأولياء لدى أهل مدينة الجزائر منها التحيات التي يقدمها رياس االبحر عند خروجهم من مدينة الجزائر و عند عودتهم أيضا، فمن عادة رؤساء المراكب الجهادية أنهم يوم السفر يودعون الأمير، وبعد الخروج يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله به، ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي، ومن هنالك يذهبون مقابلة لباب الجهاد يودعون و كيل الخرج، ثم يذهبون لمراكبهم[48]، وبعد خروجهم إلى البحر يطلقون ثلاث طلقات مدفع واحدة لتحية الداي، و البقية لتحية الأولياء الذين يكنون لهم الاحترام الكبير[49]، ومن بين الأولياء الذين يقومون بتحيتهم بطلقة مدفع عند الخروج عبد الرحمن الثعالبي الذي كان يعتبر حامي المدينة، بالإضافة إلى سيدي فرج الذي يقومون بتحيته بعد ما يتجاوزون الميناء باتجاه غرب مدينة

الجزائر، كما يحيون سيدي بتقة، وسيدي محمد الشريف، وسيدي يعقوب، وسيدي بوقدور، ووالي داده[50]، ومن خلال ما سبق ننقل قائمة أضرحة الأولياء التي كانت تتم تحيتها بطلقات مدفع، وهم عبد الرحمن الثعالبي، وسيدي بتقة، إبراهيم البحري[51]، و علي العباسي، سيدي يعقوب[52]، وعبد الرحمن بوقدور، و سيدي فرج، و والي داده.

و قد كان من بين الطقوس التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون عند الإبحار تفريغ بعض قلال الزيت في البحر، كما كانوا يقومون بإشعال الشموع فوق المدافع و هذا لتهدئة البحر.! كما كانوا يجلبون معهم بعض قطع القماش أو الأعلام من الأضرحة خاصة منها المشهورة ويضعونها إلى جانب العلم الجزائري وهذا اعتقادا منهم بجلب الحماية لهم و مساعدة لهم على الانتصار على الأعداء[53]، كما كان الرايس يشاور أحد المرابطين عندما يهم بالخروج إلى البحر ليخبره ما إذا كانت البشائر تدل على الخير و البركة و ليطلب منه المساعدة الروحية[54].

بعد العودة كان الرياس دائما يتذكرون الأولياء حيث يروي لنا روكفيل و هو أحد أسرى مدينة الجزائر في القرن 17م، كيف أن رياس البحر: "....عندما يعودون يأتون بالغنائم فيشعلون الشموع بالأضرحة و يقومون بالصلاة لقد رأيتهم يفعلون مثل هذه الحركات..."[55]، و قد كان من عادتهم أيضا عند العودة من البحر تقديم هدايا لبعض الأضرحة فالريس حميدو الذي قام بأسر سفينة برتغالية سنة 1799م وبعد عودته إلى المدينة قام بتقديم أحد الأسرى كهدية إلى ضريح عبد الرحمن الثعالبي[56].

3-2-الحرص على الدفن قرب الأولياء

لقد حرص سكان مدينة الجزائر على تأمين قبور في أضرحة بعض الأولياء وذلك بشرائها في حياتهم ليدفنوا فيها بعد مماتهم، و يرجع هذا الحرص لاعتقاد بعض الناس بأن الدفن قرب الولي يوفر له الحماية في الآخرة، حيث وردت كتابة في إحدى القبور الموجودة في ضريح عبد الرحمن الثعالبي تقول: " أنا في حماك وحمى القرآن "[57]، كما يعتقد بعض الناس أن الدفن قرب الولي يجعله يشاركه في قداسته و في هذا الشأن يقول هاينريش فون مالتسان: "...وكانت تلتف حول ضريح الولي قبور كثيرة من قبور المسلمين كالتفاف الكتاكيت حول الدجاجة فهم يظنون أنهم بهذه الطريقة الصوفية يشاركون الولي في قداسته..."[58] على هذا الأساس نلاحظ أنّه كان لمعظم الأضرحة مقابر خاصة للدفن، ويبدو أنّ الدفن فيها يتم بشراء القبور، حيث نجد أنّ من بين المداخيل المتحصل عليها لفائدة ضريح عمر التنسي، هي المداخيل التي تأتي من بيع القبور[59]، و في هذا الشأن وردت في بعض عقود التحبيس أخبارا عن أناس قاموا بتأمين قبورا بداخل أضرحة بعض الأولياء أو حتى المقابر التابعة لهذه الأضرحة، و هذا حتى يدفنوا فيها، منها ما ورد في وقفية السيدة فاطمة بنت عبد الله زوجة القايد

والي سنة 986هـ/1588م و التي قامت بتأسيس حبس خيري أشتمل على بيت و غرفة تقع بحومة جامع سيدي رمضان لصالح سيدي رمضان و اشترطت أن تدفن بضريح سيدي رمضان إن توفيت بمدينة الجزائر مثلما جاء في نص الوقفية: "...فالبيت حبسا على جامع سيدي رمضان و الغرفة المحبسّة على روضة الشيخ سيدي رمضان المذكور الذي هو مدفونا فيها اللصيقة بجامعه المذكور و على أن تدفن المحبسة بروضة الشيخ إن توفيت بالبلد...."[60]، أما السيد أحمد العطار فقد حرص على شراء قبر بضريح أحد الأولياء قبل وفاته وقد ورد ذلك في وثيقة تصفية إرثه و مما جاء فيها: "... توفي السيد أحمد العطار السكاكري ابن الحاج محمد العمراني نسبا عن زوجه الزهرا بنت الحاج[كذا] ووصى بثلث مخلفاته[كذا] يصرف منه في مئونة تجهيزه من كفن ودفن وصدقات و ختمات... وشراء قبر بضريح الشيخ البركة محمد بن عبد الرحمن الكاين بالحامة نفعنا الله ببركاته و بركة أمثاله أمين..."[61]، وهذه الوثيقة مؤرخة سنة 1845م.

و في وثيقة أخرى أوقف السيد محمد بولكباشي ابن مصطفى جميع العلوي الذي بسقيفة الدار المذكورة الراكب على إسطبلها أولا على نفسه وبعد وفاته يخرج شطر غلته في كل سنة لمن يقرأ حزبين اثنين من القرآن كل صبيحة ختمة في كل شهر على قبره بداخل القبة المبنية على ضريح الشيخ سيدي الجيلاني..."[62] هذا يدل على أنّ السيد محمد بولكباشي كان قد أمّن قبرا داخل قبة عبد القادر الجيلاني[63]بمدينة الجزائر.

أما السيدة [كذا] ابنة قائد الباب و في وثيقة مؤرخة سنة 1199هـ/1784م، فقد أوصت قبل وفاتها بإخراج جزء من أموالها لشراء ملك يحبس على قبرها الموجود بضريح عمر التنسي، و تكون الأموال المحصل عليها من كراء تلك الملكية أجرة لمن يقرأ على قبرها حزبين من القرآن كل شهر، و قد جاءت هذه الوصية على هذا النحو: ".. المرحومة[كذا] بنت قايد الباب كما أوصت في قايم حياتها بإخراجه من متروكها ويشترى بذلك ملكا و يحبس على ضريحها الكاين بسيدي عمر التنسي نفعنا الله به ، ويقبض كراء ذلك من يقرأ على ضريحها المذكور حزبين من القرآن العظيم في كل شهر.."[64]، و هناك من كان يوصي عادة قبل الوفاة بثلث ممتلكاتهم لصرفها في تجهيزهم وشراء الكفن و شراء الطعام للصدقة و أجرة ختم القرآن وغيرها، وهذا كله ليدخل في ميزان حسناته، ولأهمية مثل هذه الوثائق لتفسير ظاهرة الأضرحة بمدينة الجزائر رأينا نقل بعض ما جاء فيها على سبيل المثال لا الحصر، فقد جاء في وقفية السيد عمر خوجة "... أشهد الآن السيد عمر خوجة المذكور شهيديه على نفسه انه حبّس و أبّد ووقف لله تعالى جميع جلسة الحانوت المذكورة لجريان العمل بذلك ابتداء على نفسه مقلدا في ذلك بعض أيمة المذهب[كذا] أبي حنيفة[كذا] ثم بعد ذلك ترجع جميع الجلسة المذكورة على من يقرأ بجبانته على قبره الكاين خارج باب عزون [كذا] حزبين من كلام الله عز وجل حزب بالصبح، وحزب وقت العصر في كل يوم على الدوام و الاستمرار تحبيسا تاما مؤبدا... ›› هذه الوثيقة مؤرخة في أوائل شعبان من عام

1220هـ/1805م[65]،كما حبست خدوجة بنت السيد علي أمين العطارين "جلسة حانوت معدة لصنعة الحرارين القريبة من مسجد بتشين على من يقرأ على قبرها بالجبانة الكاينة خارج باب[كذا] أحد أبواب الجزائر كل يوم حزبين من كلام الله" هذه الوثيقة مؤرخة في أوائل محرم من عام 1218هـ/1803م[66].

إنّ هذا النوع من الوثائق يفسر بشكل كبير ظاهرة الأضرحة في مدينة الجزائر خاصة منها أضرحة الأولياء المشهورين و نقصد هنا "الأضرحة الزوايا" مثل ضريح عبد الرحمن الثعالبي و ضريح عمر التنسي، و ضريح محمد الشريف الزهّار فالاعتقاد ببركة هؤلاء الأولياء جعل الناس يرغبون في الدفن في أضرحتهم ونلاحظ أنّ أكثر الناس حرصا على الدفن بالأضرحة هم صفوة المجتمع من حكام وعلماء و أغنياء، لهذا نجد الحكام يحرصون على الدفن بضريح عبد الرحمن الثعالبي لما له من شهرة و بركة في اعتقادهم، فقد دفن علي باشا داي الجزائر[67]في ضريح عبد الرحمن الثعالبي بأمر من خليفته حسين داي[68]، وقد سارت السلطات الاستعمارية على نفس المنوال لما قامت بنقل رفات العديد من الأولياء إلى ضريح عبد الرحمن الثعالبي منهم والي دادة و سيدي منصور، وغيرهم[69].

3-3-حرمة الأضرحة في مدينة الجزائر:

أصبحت للأضرحة في العهد العثماني هيبة خاصة حيث ساهم الحكم العثماني في تعزيز هذه الهيبة لدرجة أنّه كان الابن القاتل لأبيه لا يحاكم إذا لجأ لضريح ما [70]، وقد كان الفارون من الملاحقات يلجئون إلى أقرب ضريح و هم يصرخون " شرع الله" فإذا دخلوا الضريح نجوا من الملاحقة مهما كانت الجريمة المرتكبة[71]، والسبب في عدم الاقتحام هو اعتراف الولاة والعامة بحصانة حمى الضريح، لاعتقادهم بقدرة الأولياء على تسليط غضبهم على كل من يهين حماهم[72]، وحتى السلطة لم تقتحم الأضرحة بل كانت تقوم بحصارها في حالة ما إذا كان اللاجئ إليه شخص خطير كأن يكون مجرما، أو ثائرا، ويبقى اللاجئ سجينا في الضريح ولو مات جوعا، لكنها لا تجرأ على اقتحامه[73]، و قد كان العبيد السود من بين الفئات الاجتماعية اللاجئة للأضرحة هربا من أسيادهم خاصة ضريح عبد الرحمن الثعالبي وهناك يقومون بالشكوى إلى وكيل الضريح من سوء المعاملة، و كان الوكيل يقوم بالتحقق من سبب الهروب فإن لم يكن مقنعا يقوم يعيدهم إلى أسيادهم[74].

ولم يقتصر اللجوء إلى الأضرحة على العامة فقط بل تعداه إلى مسئولين كبارا في الدولة منهم الدايات و البايات. عندما عمت الفوضى في المدينة حاول مصطفى باشا الهروب إلى ضريح والي داده غير أنه وجده مغلقا، لأنّ الموظفين بالضريح لما سمعوا بالفوضى التي حدثت بالمدينة قاموا بإغلاقه فقتل الداي سنة 1805م[75]، كما أنّ الريس

حميدو لما فشل في إحدى الغزوات، تم القبض عليه و أثناء الطريق حاول الهروب إلى ضريح عبد القادر الجيلاني ليحتمي به إذ كانت له حصانة كغيرها من الأضرحة[76]. أما باي التيطري "مصطفى الوزناجي" الذي كان محل نقمة من الداي حسن ففي سنة 1792 لما قدم إلى مدينة الجزائر علم بأنّ الشواش يبحثون عنه فالتجأ إلى ضريح أحد الأولياء فنجا من الموت و لكن تمّ عزله من منصبه و عين بدله باي آخر[77]و تحدث الزياني الذي زار الجزائر في القرن الثامن عشر عن الباي حسن الذي كان قبل تعيينه في منصبه منفيا في تلمسان، فقد شكاه باي قسنطينة إلى الداي فوّجه من يأتي به فاحتمى بضريح عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ووقعت فيه الشفاعة من الموت فنفي إلى تلمسان[78]، كما أنّ الحاج السعدي الذي كان يعمل مزوّارا[79]غضب عليه الداي حسين في إحدى المرات فاضطر إلى الهرب و الاحتماء بضريح عبد الرحمن الثعالبي فنجا من العقاب ونتيجة لهذا قام بعتق جميع عبيده، وقد وقعت هذه الحادثة في نوفمبر 1829م[80].

الخاتمة

تميز العهد العثماني في الجزائر بانتشار الأضرحة التي كانت عبارة مزارات لفئة كبيرة من مجتمع مدينة الجزائر وهذا لأهداف مختلفة كطلب الشفاء و البركة و الحماية غيرها حيث اختص كل ضريح بتحقيق مطلب من هاته المطالب في نظر الناس. وقد كان عدد الأضرحة معتبرا في المدينة حيث كان أشهرها ضريح عبد الرحمن الثعالبي الذي يعتبر حامي المدينة في نظر المجتمع وقتئذ، حيث كانت فئات المجتمع تقوم بتحبيس الأملاك عليها مما جعل لها مصادر مالية جعلتها تقوم بأنشطتها المختلفة منها إحياء الأعياد الدينية كالمولد النبوي وعاشوراء وكذا الصدقات على الفقراء والمساكين وإيواء المشردين و غيرها من الأنشطة الخيرية والاجتماعية.

إن شهرة و تعلق الناس بضريح ما يرجع بالأساس شخصية صاحبه في حياته سواء كانت هذه الشخصية علمية كعبد الرحمن الثعالبي أو نسجت عليها أساطير كشخصية بو القدور وبعد الوفاة بنيت عليها أضرحة أصبحت بمثابة مزارت لأغراض مختلفة كما رأينا سابقا، من هنا نسجت حول هذه الأضرحة أو الأولياء خرافات وأساطير حول قدرتهم على فعل أشياء متعددة كحماية المدينة والشفاء و حل المشاكل الاجتماعية وغيرها مما ذكرناه سابقا هذه الأشياء أصبحت من المعتقدات لدى فئة كبيرة من مجتمع مدينة الجزائر.

قائمة المراجع

1 -للمزيد عن موضوع أوقاف أضرحة مدينة الجزائر أنظر:

-بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2007.

2 -خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة الدكتور محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 201

3- لقد نقل أحمد توفيق المدني هذه القصيدة لكنه حذف المقاطع الخاصة بالأولياء، أنظر:

- المدني، أحمد توفيق. محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766م-1791م)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 144-147، أنظر أيضا:

- FAGNAN, E. Un chant Algérien du XVIII siècle, in revue africaine, tome 38, année 1894 .

4-هكذا يسميه أهل مدينة الجزائر واسمه عبد الرحمن توفي سنة 988هـ/1590م

5- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، ص 120.

6- حمدان بن عثمان. المرآة، تعريب وتحقيق الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 57.

7-التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر، و تونس، وليبيا 1816-1871، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان 1985، ص 103.

8-MORGAN, J., Histoire des états barbaresques qui exercent la piraterie contenant l'origine des révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de tunis,de tripoli et de maroc. Traduit de l'anglais,tome 2, paris.MDCCVII.p93.

9-RINN. L, Marabout et khouan étude sur l'Islam en Algerie, Adolphe Jourdan, Libraire de l'Académie, 1884, p 176 .

10- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الجزء الأول الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973، ص 53.

11-DEVOULX, A.,(Les édifices religieux de l'ancien alger),in revue africaine,année1865, p443.

12- المحاكم الشرعية، علبة 2/6 وثيقة 20، من الآن فصاعدا سنرمز عند التهميش للمحاكم الشرعية ب (م.ش،ع)

13- م.ش.ع2/14(50).

14 - م.ش.ع2/133-134(2)

15- م.ش.ع84-85-86(67).

16- م.ش.ع89(13).

17- 10 زويجات ترابية تعني 100 هكتار و بالتالي فزويجة ترابية تعني 10 هكتارات

18 -م.ش.ع4(33).

19 - التمغروطي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، الطبعة الحجرية ، ص139.

20 -يقصد بها تفتح

21-يقصد بها الأبواب

22-أبو عبد الله محمد بن أحمد، ديوان ابن مسايب، إعداد و تقديم، الحفناوي أمقران سحنوني، و أسماء سيفاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 102.
23- بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، منشورات المجلس العلمي للإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية ، الجزائر، نوفمبر 2003، ص 31
24- BEN CHOAIB, A., (Les marabouts guérisseurs), in revue africaine, tome 51, année 1907, p 252.
25- Haëdo, D. "Topographie et histoire générale d'Alger", traduction de dr monnerau et A.berbrugger, présentation de Jocelyne dakhlia, éditions bouchene, 1998., 119, voir aussi:
26- DERMENGHEM, É, Le culte des saints dans l'islam maghrébin, Gallimard, 1954., p 109.
27- Ibid., p 125.
28- ROZET, M., Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupe par l'armée française en Afrique du nord, tome 2, et tome 3, paris,Bertrand, 1833, p 141.
29- BERAUD, H., La mosquée de sidi Abd Er Rhaman, Alger, 1891, p 6.
30- Haëdo, D., Op.cit, p 121.
31- DERMENGHEM, É., Op.cit, p 130.
32- BEN CHOAIB, A, Op.cit, p 253.
33- Haëdo, D., Op.cit, p 121.
34- DEVOULX, A., (Ahad aman, ou règlement politique et militaire), in revue africaine, tome 4,année 1859-60, p 214.
35-شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة الجزائر، 2006، ص 287.
36-هو أحمد بن يوسف الراشيدي عالم صوفي مشهور المتوفى سنة 931هـ/1524م، ولد بقلعة بني راشد بين مدينة غليزان ومعسكر، تنتمي أسرته إلى بني مرين المغربية أخذ العلم في مدينة تلمسان، وبجاية، ومن شيوخه العلامة أحمد زروق، كان من بين المعارضين لسياسة الزيانيين خاصة أثناء تحالفهم مع الإسبان ضد الأتراك، قام بتأسيس زاوية في رأس الماء بوادي الشلف وكوّن بها المريدين وقام بالرحلة إلى المشرق واتصل بالعلماء من مختلف الأصقاع، كوّن عددا من أتباعه جماعة أصبحت تعرف "باليوسفية" التي انحرفت عن الدين وقد تبرأ منها أحمد بن يوسف و قاومها، لما توفي دفنه ابنه محمد بن مرزوقة بمدينة مليانة وبنى له باي وهران محمد الكبير ضريحا ومسجدا في القرن 18م، وأصبح قبره مزارا كبيرا.
37 -"... و قد كان ذلك في وقت شد الرحال من أهل الجزاير لزيارة هذا القطب بمليانة كما قد كانت عادتهم المعروفة في ذلك كل سنة حسبما هو المعهود أيضا في كثير من مزارات الأولياء بالإقليم الجزايري ...أنظر:
- علي بن أحمد بن موسى، ربح التجارة و مغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، مخطوط تحت رقم 3251، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.، ورقة1
38-أنظر على سبيل المثال: م.ش.ع14/2(50).
39- مجهول، روية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، مخطوط تحت رقم 1546، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر.

40-يقصد المكان الذي مرّ أو استراح فيه الولي، هذا ما يفسر إقامة قباب في عدد كبير من المدن الإسلامية للشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقادا من سكانها [انه مرّ من تلك الأمكنة، رغم أنّ المعلومات التاريخية تقول أنه لم يخرج من آسيا.

41 -هناك معطيات مهمة في مجموعة من سجلات البايلك تشير إلى مداخيل و مصاريف ضريح عبد الرحمن الثعالبي أنظر:

-سجلات البايلك، رقم 86-314-355-356.

42- تعني إبعاد الشر فهي مشتقة من كلمة نشر، التي تعني أشاع ، أذاع، شفى ، أبرأ، و هي عبارة عن تعويذة بواسطتها يبطل السحر، والأضحية يجب أن تكون من الدواجن، لأن الأضحية الأخرى تسمى الأضحية الإبراهيمية للمزيد أنظر:

43-DERMENGHEM, É., Op.cit, P 123.

44-يونس عبد الحميد، معجم الفلكور، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص 196.

45- DERMENGHEM, É., Op.cit. p 127.

46-Ibid., p 123

47 - ابن عمار الجزائري، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مخطوط تحت رقم 2757، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، ص 20.

48- الزهّار، أحمد شريف. مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص61.

49-PARADIS, V, d., Alger au XVIIIè siècle, 2ème édition, Bouslama, Tunis 1981,p42.

50 -كورين شوفاليه، مرجع سبق ذكره ص87

51- اسمه الحقيقي إبراهيم السلامي، أي أنه من مدينة دار السلام ببغداد جاء إلى مدينة الجزائر حوالي القرن 14م مع والي دادة و محمد بوفالة دفين مدينة المسيلة، بعدها ذهب إلى الصحراء ووصل إلى مدينة تنبكتو بعدها عاد إلى الشمال و استقر مدة هناك حيث لما عرف السكان هناك بفضله و أنه من الأولياء زوجوه بإحدى بنات علي سعادة "بوسعادة"، بعدها ذهب إلى مكة و لما عاد إلى مدينة الجزائر توفي في المرسى حيث دفن في المكان الذي توفي فيه، وقد أقام له خير الدين ضريحا فأصبح مزارا، فأصبح منذ ذلك الوقت يعرف بضريح سيدي إبراهيم البحري، سيد الميناء، للمزيد أنظر:

-ZAHAR CHERIF., (Sidi brahim patron des marins repose au port d'Alger), Alger revue, octobre 1956, pp 45-47.

52-كان ضريح سيدي يعقوب يقع في أقصى شمال باب الوادي، وكان هذا الضريح مغطى بقبة وتتبعه جبانة.

53-BELHAMISSI, M., Histoire de la marine algérienne(1516-1830), ENAL,Alger, 1986, p 94.

54-وولف، جون ب، الجزائر و أروبا، ترجمة و تعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 195.

55-ROQUEVILLE., Relation des mœurs et de gouvernement des turcs d'Alger, paris,1675.p 27.

56- دوفال ألبير، الريس حميدو، تعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، ص 67، أنظر أيضا:
-DEVOULX, A., Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens, typographie, a, Jourdan, Alger, 1872. p38 et p 53.

57-بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن ، مرجع سبق ذكره، ص 25

58-هاينريش فون مالتسان، مصدر سبق ذكره، ص 42.

59-DEVOULX,A.,(Les édifices...).Op.cit, in revue africaine,année1863, p174.

60-بيت المال و البايلك، علبة 16، سجل 100.

61-م.ش.ع31 (1)

62-م.ش.ع151-152(29).

63-عبد القادر الجيلاني ولد بجيلان نحو 1078م وتوفي عن عمر يناهز 91سنة ببغداد، أقيمت في كل البلاد الإسلامية قبة له، و منها في واحدة في مدينة الجزائر التي كانت تعرف بنخلة شهيرة وقد سقطت هذه النخلة حوالي سنة 1865، أما القبة فقد تم هدمها سنة 1866 لفتح طريق سمي بطريق قسنطينة، كان الناس يأتون إلى هذه القبة و يستغيثون بالشيخ عبد القادر الجيلاني.

64 -م.ش.ع 78 (4/15).

65-م.ش.ع1/45 (45).

66 -م.ش.ع129(3/53).

67 -الداي علي باشا من أهم أعماله نقل مقر أعماله من الجنينة إلى القصبة للتخلص من سيطرة اليولداش وقد اختار حاميته من الأهالي والكراغلة تولى في أكتوبر 1817 وتوفي بالطاعون يوم 1 مارس 1818 وخلفه الداي حسين آخر دايات الجزائر، أنظر:
- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، نشرمكتبة النهضة الجزائرية، طبع بمطابع بدران وشركاءه، بيروت، لبنان، 1964 ص266.

68 - أحمد الشريف الزهّار، مصدر سبق ذكره، ص142.

69 - بالحميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن.....، مرجع سبق ذكره، ص 24

70- KHOJA, H., Op.cit, p 9

71- بالحاميسي مولاي، أبو زيد عبد الرحمن.....، مرجع سبق ذكره ص 40

72-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،.....، مرجع سبق ذكره، ص 271.

73-DEVOULX, A.,(Les édifices ....).Op.cit,in revue africaine,année1862, p378.

74- ROZET, M., Voyage dans la régence…….Op.cit, tome 3, P129

75- الزهّار، أحمد شريف. مصدر سبق ذكره، ص 89

76- دوفال ألبير، الرييس حميدو، مرجع سبق ذكره، ص 23.

77-مبارك الميلي، مرجع سبق ذكره، ص 240 و ص 248.

78 - الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا وبحرا، حققه وعلّق عليه عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة، المحمدية.ص 152.

79-هو رئيس الشرطة في المدينة كان مكلفا بحفظ النظام العام داخل المدينة، والقبض على المجرمين للمزيد حول مهنة المزوار أنظر:

-HOEXTER, M, (La shurta ou la répression des crimes à Alger à l'époque turque), in Revue Studia Islamica, № 56annee 1982, p 120.

80-DEVOULX, A,(Les édifices…)Op.cit,in revue africaine,année1863,p181.